**محاضرة رقم 6**

**العراق خلال فترة الاحتلال الاجنبي**

انتهى الحكم الاجنبي في العراق بسقوط بابل عام 539 ق- م على ايدي الغزاة الفرس الاخمينيين ودخل العراق بانعطاف سياسي خطير اخذت البلاد ترزح تحت وطأة الاحتلال الاجنبي الذي دام زهاء الف عام واصبحت مسرحا لحروب طاحنة بين الدول الغازية وحسب تسلسلها :

1- الغزو الفارسي الاخميني 539- 331 ق- م

2- الغزو المقدوني والسلوقي 331- 126ق- م

3- الغزو الفرثي 126ق- م - 226ميلادية

4- الغزو الفارسي الساساني 226- 637ميلادية

لقد تمتع العراق بمجموعة مميزات جعلت ارضه هدفا للطامعين الاجانب فهو يتوسط بحرين عظيمين هما البحر الاسفل (الخليج العربي) والبحر الاعلى (البحر الابيض المتوسط) كان لهما شان كبير في نشوء وازدهار الحضارات القديمة وهو ذو موقع ستراتيجي هام بين ملتقى الطرق التجارية البرية والبحرية ولان العراق يقع بين القارات الثلاث اسيا واوربا وافريقيا وعند ملتقى الطرق التجارية الرئيسة اضافة الى توفر مصادر المياه العذبة والسهول الواسعة المنبسطة الخصبة التي جعلت خيراته وفيرة . لقد استهدفت الاقوام الغازية للعراق جملة اهداف يمكن ايجازها فيما ياتي :

1- استغلال خيراته مثل الخيرات الزراعية وثرواته المعدنية على اختلافها وموارده المالية .

2- استغلال المنجزات الحضارية التي بناها ابناء العراق القديم والتمتع بها والاستفادة منها .

3- السيطرة على طرق التجارة الدولية البرية منها والبحرية .

4- منع قيام دولة قوية بعد العصر الكلدي تقف بوجه القوى الطامعة في ارضه ومياهه وثرواته المختلفة .

وبسبب هذه الخصائص والمزايا التي يتمتع بها العراق كان عرضة لاطماع الغزاة الا ان العراق بقي صامدا بالرغم من شتى صنوف الاضطهاد التي تعرض لها وقام اهله باكثر من ثورة ضد الغزاة المستعمرين .

**1- الغزو الفارسي الاخميني 539-331ق.م :**

انتهى الحكم الوطني في العراق بسقوط بابل عام 539ق.م على يدي كورش الفارسي الاخميني ودخل العراق منذ ذلك التاريخ تحت الحكم الاجنبي حتى تم الفتح العربي الاسلامي للعراق في القرن السابع الميلادي وقد سبق ان اشرنا الى الظروف التي احاطت بفتح مدينة بابل وسقوطها وكيف ان كورش استغل تردى الاوضاع الدينية والاقتصادية في بلاد بابل ووجود الاسر اليهودية وقيامها بعملية دعائية له حتى تم له فتح بابل واتصفت السياسة التي اتبعها مع سكان بابل باللين والتسامح ففسح المجال للبابليين ان يعظموا الهتهم ويقوموا بطقوسهم الدينية بل انه هو نفسه قام بتقديم القرابين الى الاله مردوخ اعترافا منه بعظمة اله بابل كما سمح لليهود بالعودة الى فلسطين ان هم رغبوا في ذلك وقد عاد قسم منهم وبقي القسم الاخر ويعتبر كورش من اعظم ملوك الدولة الاخمينية بل يعده البعض المؤسس الحقيقي للدولة الاخمينية . والاخمينيون هم من القبائل الفارسية الهندية-اوربية التي وفدت الى ايران في مطلع الالف الاول قبل الميلاد واستقرت في جزئها الداخلي الذي عرف ببلاد فارس سميت السلالة بالاخمينية نسبة الى مؤسسها الاول (هاخمانيش) وقد تمكن الاخمينيون خلال فترة قصيرة من تاسيس دولة قوية ما لبثت ان اتسعت حدودها وشملت معظم انحاء ايران بعد ان تمكنت من القضاء على الدولة الميدية في الشمال الغربي والمملكة العيلامية في الجنوب وقد اتخذ كورش مدينة (اكباتانا (همذان) عاصمة الميديين السابقة مقرا لحكمه ومنها بدا بتوسعه وفتوحاته الخارجية حتى وصل الى تخوم الهند شرقا كما سيطر على ساحل اسيا الصغرى الغربي ومستعمراته اليونانية واتجه الى بلاد الشام ومنها الى العراق حيث فتح بابل بعد ان نقض العهد الذي بينه وبين الملك البابلي نبونائيد وهكذا اصبحت بلاد بابل واشور ولاية اخمينية تدار من قبل حكام اخمينيون وظلت كذلك حتى انهيار الدولة الاخمينية امام الاسكندر المقدوني عام 331ق.م ولم يكن الفتح الفارسي الاخميني لبلاد بابل نهاية للحضارة البابلية الاشورية التي وصلت قمة ازدهارها في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد بل كان مجرد تغير سلالة حاكمة وتبدل في بعض اساليب الحكم ويمكن القول ان الفتح الفارسي للعراق قد ساعد على نشر بعض المظاهر الحضارية العراقية الى بلاد فارس وغيرها من اقاليم الامبراطورية الاخمينية وهذا ما يلاحظ جليا في بعض الاساليب والنظم الادارية والاقتصادية والقانونية ونظام البريد التي ترجع باصولها الى العهود الاشورية والبابلية وعلى الرغم من وقوع بلاد بابل واشور تحت الحكم الاخميني القوي الا ان بلاد بابل كانت تتحين الفرص للثورة ضد الحكم الاجنبي والاستقلال عنه وما ان بدا الاظطراب في عهد قمبيز ابن كورش حتى ثارت بابل بزعامة نبوخذ نصر الثالث الذي ادعى بانه من السلالة الكلدانية السابقة وكان مجيء (دارا الاول) الى الحكم نهاية لثورة بابل وبقية الثورات التي قامت في الاقاليم المختلفة وبعد فترة وجيزة ثارت بابل ثانية فقضى دارا على ثورتها ونكل بالثوار واتباعهم وعين ابنه نائبا له على بلاد بابل وظلت بابل هادئة بقية حكم دارا غير انها عادت وثارت في عهد ابنه وقتلت الحاكم الفارسي فيها مما اضطر الملك الفارسي الى ارسال جيش قوي الى بلاد بابل دخل بابل ودمرها ونهب وسلب قصورها ومعابدها غير ان قوة الامبراطورية الاخمينية وعظمتها لم تستمر طويلا حيث بدا الضعف يدب فيها بعد عهد دارا وابنه وكان من جملة العوامل التي ساعدت على ضعفها وتقهقرها الثورات المتكررة في الاقاليم والبلدان التابعة المختلفة ومنها بلاد بابل والمؤمرات والدسائس الداخلية التي اصبحت من ميزات الاسرة الحاكمة ولا ريب ان تقوم الثورات ضد الحكم الاخميني الذي سيطر بسرعة فائقة وبقوة السلاح على بلدان وشعوب كثيرة ذات حضارات عريقة وتقاليد ونظم ناضجة وشخصية متميزة كبلاد بابل واشور ذات الحضارة التي تمتد لالاف السنين وكمصر وبلاد الشام بينما لم يكن الاخمينيون انفسهم ذوو حضارة ناضجة وقد شعر الملوك الاخمينيون بصعوبة السيطرة على تلك الشعوب فبداوا يركزون اهتمامهم على بلاد ايران وينظروا الى الاقاليم والبلدان الاخرى كاقاليم تابعة فحسب تاركيت التدخل في شؤونها الداخلية طالما كانت تحكم من قبل حكام فرس يقدمون الضرائب المفروضة عليهم بانتظام ومنحوا اولئك الحكام والولاة الفرس او الميديين من الذين وضعوا ثقتهم بهم جميع الحقوق والامتيازات واعفوهم من كثير من الالتزامات المفروضة على غيرهم وكان من نتائج ذلك ان عم الفساد والترف قصور الحكام والولاة وزادت المؤامرات والدسائس واصبح اغتيال الحكام والملوك وافراد الاسرة الحاكمة من الامور المالوفة كما قام عدد من ملوك الفرس بقتل اخوتهم واخواتهم حال تسلمهم العرش خشية قيامهم بالمؤامرات ضدهم كما فعل ارتحششتا الاول وارتحششتا الثالث وظلت بلاد بابل تحكم كولاية اخمينية من قبل حكام فرس وشجع الملوك الاخمينيون بعض القبائل الفارسية وكهنتها المجوس للاستيطان في بلاد بابل واعطيت لهم امتيازات خاصة في حين فرضت ضرائب باهضة على السكان المحليين وظلت الاحوال في بلاد بابل تزداد سؤا سنة بعد سنة وانتاب الامبراطورية الاخمينية ضعف عام ونشبت الحرب بين الملك الاخميني ارتحششتا الثاني واخيه كورش الذي كان قد عينه حاكما في اسيا الصغرى وقاد كورش حملة من الجنود المرتزقة الاغريق الى بلاد بابل ليواجه اخاه الملك غير ان الحملة فشلت وقتل قائدها فعاد الجنود ادراجهم الى اسيا الصغرى ونصبوا عليهم احد الجنود قائدا وكان هذا القائد هو زينفون وقد عرفت هذه الحملة بحملة العشرة الاف او حملة زينفون وهي ذات اهمية خاصة في دراسة تاريخ واحوال العراق في هذه الفترة للاخبار القيمة التي دونها لنا زينفون عن مشاهداته اثناء قيادته الحملة وعن احوال العراق التي وصفها لنا بشيء من التفصيل صادف ضعف الامبراطورية الاخمينية ظهور قوة اليونان بزعامة فيليب المقدوني ومن ثم ابنه الاسكندر الذي وجه همه الاول للقضاء على الامبراطورية الاخمينية عدوة اليونان وقد لاقى الاسكندر نجاحا كبيرا في حروبه مع الاخمينيين وتم له القضاء على السلالة الاخمينية وفتح بابل عام 331ق.م وبذلك دخل العراق تحت الحكم المقدوني .

**احوال العراق في العهد الاخميني:**

على الرغم من وقوع العراق تحت الحكم الاخميني الفارسي لفترةى جاوزت القرنين الا ان احواله الحضارية لم تتغير تغيرا جوهريا ويعزى ذلك الى حقيقة ان الحضارة العراقية القديمة (البابلية- الاشورية) كانت على درجة كبيرة من التقدم والازدهار مقارنة مع حضارة الفرس الاخمينيين كما يعزى ايضا الى السياسة التي اتبعها الاخمينيون في ادارة اقاليمهم التابعة وتركهم البلدان المفتوحة تسير وفق نظمها وتقاليدها القديمة مع اجراء التغييرات الضرورية في اسلوب ادارتها وفرض الضرائب عليها وتعيين الحكام الفرس للاشراف على شؤونها ومع هذا فقد برزت بعض الخصائص الحضارية في هذه الحقبة الطويلة من تاريخ العراق يمكن ان نوجز البعض منها فيما يلي :-

1- **الناحية الادارية:-**

اصبحت بلاد بابل واشور احدى الولايات التابعة للامبراطورية الاخمينية وقد اتبع الاخمينيون في ادارة الولايات التابعة سياسة موحدة تعتمد اساسا على وضع الولاية تحت حاكم فارسي عام يعينه الملك ويلقب غالبا (ستراب) وغالبا ما كان من افراد الاسرة الحاكمة او من الطبقة النبيلة وكان مسؤولا مسؤولية مباشرة امام الملك وكان في كل ولاية حاكم عسكري عام مستقل عن ادارة الحاكم ويرتبط بالملك مباشرة كما كان للملك في كل ولاية عدد من المراقبين والمفتشين والعيون الذين يرسلهم لتقصي احوال الولاية وتقديم التقارير عن شؤونها واسلوب ادارتها وبذلك فقد كان النظام الاداري الاخميني مقتبس الى درجة كبيرة من النظام الاداري الاشوري الدقيق وكان على بلاد بابل واشور ان تقدم ضرائب سنوية الى خزينة الملك الاخميني وقد بلغت هذه الضرائب الف وزنة من الفضة اضافة الى السريات والوادان الذين كانوا يرسلون للخدمة في قصر الملك واضافة الى ما كان يبعثه المعبد من مواد غذائية وشراب وكان الحاكم يجمع الضرائب ليسد نفقات ادارة الولاية ويلبي رغبات الطبقة الحاكمة فكانت تجبى ضرائب باهضة من مختلف السكان وعلى مختلف شؤون الحياة.

**2- الحالة الاقتصادية:-**

كانت بلاد بابل في اواخر العصر البابلي الحديث تمر بازمة اقتصادية حادة ورافقها ارتفاع فاحش في الاسعار وقد استمرت الازمة الاقتصادية في العصر الاخميني وزادت سوءا سيما وان الضرائب الباهضة التي كانت تدفع للحاكم والى القصر الملكي كانت تخزن في خزائن الدولة ولا يصرف منها الا الشيء القليل فقلت النقود المتداولة في السوق وتراكمت الديون على المواطنين وشاع الاقتراض بالفائدة الفاحشة وقد استغلت الطبقة الحاكمة من الفرس وبعض الاسر اليهودية في بلاد بابل هذه الظاهرة وبدات باقراض الناس القروض بفوائد فاحشة وتاسيس مصارف لتقديم القروض عثر على عقود وسجلات بعضها في عدد من المدن البابلية. ومنذ عهد دارا الاول بدا استخدام النقود المسكوكة بعد ان كان قد شاع استخدامها في مملكة ليديا منذ القرن السابع قبل الميلاد والمعروف ان العراقيين القدماء استخدموا الحبوب والمعادن (الفضة والذهب وغيرها) لتقييم الاثمان غير انهم لم يصلوا الى استخدام النقود المسكوكة.

**3-الاحوال العامة:**

لقد اصاب العراق في العهد الاخميني ما اصاب غيره من الاقاليم التابعة للاخمينيين بالنسبة لوفود بعض الاسر الفارسية واستقرارها في الاقاليم وسيطرتها على ادارة شؤونها واقتصادها وقد شجع الملوك الفرس بعض الاسر الفارسية وكهنتها من المجوس على الاستيطان في العراق ومنحوهم الامتيازات واعفوهم من كثير من الالتزامات ومع ذلك لم تتمكن تلك الاسر من تغيير التركيب الاجتماعي لبلاد بابل واشور كما لم تتمكن من نشر اللغة الفارسية فيها بل انتشرت اللغة الارامية والخط الارامي الهجائي واصبحت لغة رسمية الى جانب اللغة الاكدية واللغة الفارسية القديمة . واستمرت العلوم والمعارف بالنمو ولا سيما فيما يخص علم الفلك والرياضيات وكان وقوع بلاد بابل تحت الحكم الاخميني من العوامل المساعدة التي نشرت بعض العلوم والمعارف العراقية القديمة الى بلاد اليونان واسيا الصغرى وغيرها من البلدان الواقعة تحت الحكم الاخميني.